العدد (1039) الخميس (13) ايلول 2007
No. (1039)Thu. (13) September
9 من الصحافة العربية

الـــورطـــة العـــراقيـــة .. ثلاثـــة دروس مـــن أربـــيل!

الاتحاد

توماس فريدمان

إن أحد أهم الدروس المقلقة في غزو العراق هو اكتشافنا لمدى خواء الدكتاتوريات العربية. فما أن يتسنى لك اقتحام القصر الرئاسي وإحكام سيطرتك عليه، حتى يتجه المصعد من هناك مباشرة إلى المسجد. فليس ثمة فاصل بين هاتين المؤسستين: أي ليس هناك مجتمع مدني ولا نقابات مهنية فعلية، ولا وجود لجماعات ناشطة حقاً في مجال حماية حقوق الإنسان، إلى جانب غياب البرلمانات والصحافة الحرة المستقلة. وبما أن هذا هو واقع الحال، فليس هناك ما يثير الاستغراب في بروز القادة الدينيين الذين يسيطرون على السياسات بين سنة وشيعة مسلمي العراق في أنحاء متفرقة منه. غير أن هذا الواقع لا ينطبق على الجزء الشمالي منه، أي في إقليم كردستان. فعلى الرغم من أن الإقليم لم تتطور التجربة السياسية فيه إلى حد الممارسة الديمقراطية الكاملة، فإنه ماض في بناء مؤسسات المجتمع المدني الرئيسية. وقد التقيت بممثلي ٢٠ من هذه المؤسسات والمنظمات الكردية: اتحادات وجمعيات حقوق إنسان، ومنظمات رقابة سياسية، ومحررين وممثلات للمنظمات والجمعيات النسوية. ومما خرجت به من لقائي بهم واستماعي إليهم، ضرورة دراسة كيف سار نهج التحول الديمقراطي بكل هذا النجاح هنا في أربيل، حتى يتسنى لنا إدراك ما تمكنا أو عجزنا عن تحقيقه في مسار التحول الديمقراطي في العراق، بل وعلى نطاق العالم العربي كله.

يجدر بالذكر أن الولايات المتحدة لعبت دوراً أساسياً في إنجاح التجربة الكردية هذه. ففي عام ١٩٩٨ ساعدت بلادنا في وضع حد للحرب الأهلية الكردية، إثر حل النزاع الدائر حينها حول السلطة بين عشيرتين رئيسيتين متنافستين حينها. وبذلك فقد توفر الأساس اللازم لإجراء انتخابات حرة نزيهة تستهدف اقتسام السلطة في عام ٢٠٠٥، وبعد إسقاطنا لنظام صدام حسين في عام ٢٠٠٣، فقد انفتح الإقليم الكردي أمام فيض هائل من الاستثمارات ورؤوس الأموال الأجنبية. فذاك هو كل الذي فعلناه هنا ولا شيء غيره. واليوم فليس ثمة وجود لدبلوماسي أو جندي أميركي واحد في الإقليم. ومع ذلك فإن الحياة السياسية مزدهرة ونامية هنا، تماماً مثلما هي الحياة الاقتصادية في الإقليم. فتلك هي إرادة أهل الإقليم ومشيئتهم. وبالمقارنة، فإذا ما اتجهنا جنوباً بضعة كيلومترات فحسب، فلا شيء يذكر من تحول كهذا، على رغم إنفاقنا لمليارات الدولارات في مسعى منا لغرس الديمقراطية في المناطق السنية والشيعية من العراق.

ونخرج من هذه المقارنة باستخلاص ثلاثة دروس أساسية أولها أنه يستحيل بناء أي حياة سياسية مستقرة في جنوبي العراق، قبل حل النزاع الدائر الآن حول السلطة بين المسلمين السنة والشيعة. ثانياً وما أن يعقد شعب ما العزم على القعود بمسيرة التقدم السياسي والاقتصادي لبلادهم، فلا شيء يوقف تحقيق تلك المشيئة مطلقاً، كما يتعذر لأي كان تقديم العون لمن لا يرغبه أصلاً، بل هو راغب عن مساعدة نفسه أصلاً. أما الدرس الثالث والأخير فهو أن للثقافة أهميتها ودورها في عملية إعادة البناء الديمقراطي.

يستحيل بناء أي حياة سياسية مستقرة في جنوب العراق قبل حل النزاع على السلطة بين المسلمين السنة والشيعة، كما أن للثقافة دورا مهما في عملية إعادة البناء الديمقراطي.

فكما أوضح لي "سلام باواري" – مدير مركز أبحاث الديمقراطية وحقوق الإنسان بكردستان- فإن الصيغة الكردية من الإسلام تتسم بالاعتدال والتسامح، ما ساعد على ازدهار ثقافة التعدد في الإقليم. وفيما قاله لي إن لهم تاريخاً يعود إلى ألفي عام من التعايش المشترك لأهل الإقليم ومن حولهم. وعلى رغم وجود نزاعات كردية-عربية إلى اليوم، إلا أن مستوى التسامح الموجود في الإقليم، قلما وجد له مثيل في الأنحاء الأخرى من العراق.

أذكر أنني وأثناء زيارتي هذه لإقليم كردستان، قد قرأت كتاب "الاسم الموجب للديمقراطية: نهوض ومخاطر أكثر أشكال الحكم شعبية في العالم"، وهو من تأليف صديقي "مايكل ماندلباوم"، الخبير في الشؤون الخارجية بجامعة "جونز هوبكنز". ومما شد انتباهي علاقة الكتاب الوثيقة بالمشروع الأميركي الرامي لإحداث التحول الديمقراطي في العراق وما وراءه. ومما أثاره "ماندلباوم" أن الديمقراطية تتألف من مكونين رئيسيين هما الحرية والسيادة الشعبية. وفي رأيه أن الحرية تشمل ما تقوم به الحكومات: سيادة القانون، حماية المواطنين من إساءة الدولة لاستخدام سلطتها، إضافة إلى وضع اللوائح والقوانين التي تعمل بموجبها المؤسسات الحكومية. أما السيادة الشعبية فتتضمن بين عدة عناصر أخرى، الكيفية التي يختار بها الشعب من يحكمه عبر الانتخابات الحرة النزيهة. وعليه فإن من رأي ماندلباوم أن ما يجري في بغداد الآن، إنما يرمز إلى تلك الحالة التي تجري فيها الانتخابات في ظل غياب الحرية. والنتيجة الطبيعية هي أن ينتهي الأمر إلى سيادة استبداد الأغلبية، أو إلى ما أشار إليه فريد زكريا بعبارة "الديمقراطية غير الليبرالية". وعلى نقيض هذه الحالة، فإنه لا تزال أمام كردستان فرصة بناء ديمقراطية متوازنة، لكون الإقليم يعمل على بناء مؤسسات الحرية وليس مجرد عقده للانتخابات الشكلية الصورية.

ومما قال به "ماندلباوم" في إطار مقارنته بين ما يجري في بغداد وكردستان، إن في وسع أميركا وغيرها من الدول الأخرى تقديم يد العون في تهيئة الظروف والمناخ الملائمين لغرس الديمقراطية وتمكين جذورها من الضرب عميقاً في تربة بلد ما. غير أن الذي يبقى خارجاً عن الإرادة الأجنبية، أن يختار الشعب نفسه تطوير المهارات ونشر القيم الكفيلة بنمو ذلك الغرس وازدهاره.

وعلى حد تعبير "همين مالازادا" –رئيس اتحاد صحفي كردستان- فإذا ما نظر المرء إلى جنوبي العراق، فإنه يلحظ غياب النزعة الديمقراطية لدى الحكومة والشعب معاً، في حين أن الحكومة الديمقراطية لا تكون في الأصل إلا لشعب ديمقراطي. ومن رأي "ماندلباوم" أن إحدى الوسائل التي يمكن بها تطوير البرامج التشغيلية للحرية هي العمل على بناء وازدهار السوق الحرة، وأن هناك واحداً منها على الأقل هناك في كردستان. وبالمقارنة فلا شيء سوى الفوضى العارمة في اقتصاديات الأنحاء الأخرى من العراق. ويدعم "ماندلباوم" رأيه هذا بالقول إن في وسع "اقتصاد السوق" أن يجعل للمواطنين سهماً في بناء السلام فضلاً عن تمكينهم من التعامل مع الأجانب على نحو بناء وأكثر إيجابية. ذلك أن اقتصاد السوق يعلم المواطنين أساسيات الممارسة الديمقراطية وأصول الثقة المتبادلة وفنون التفاوض والتنازلات. وليس مستبعداً أن تخيب الديمقراطية بسبب انعدام التسامح الديني ونقمة النفط والإرث الاستعماري متبوعاً باستبداد الديكتاتوريات العسكرية، على نحو ما نرى في منطقة الشرق الأوسط. ومن هذا الدرس العراقي نتعلم حقيقة استحالة بناء الديمقراطية ما لم يرغب الشعب العراقي في ركني الديمقراطية معاً: الحرية والحكم الذاتي.. وما لم يسهم هو نفسه في بنائهما.

الاتحاد الاماراتية

على الطريق العـــــراق

الرأي

عبدالهادي راجي المجالي

... هناك برنامج تبثه احدى الاذاعات اسمه: .....وانت مروح..... في البداية بحكم ان المذيع من قطر شقيق ظننت انها اذاعة شقيقة ايضا، ولكن تبين فيما بعد ان الاذاعة اردنية.

... ما هي فحوى البرنامج؟ لا ادري! ولكن المذيع قال امس وهو يتحدث عن اصدقائه سأستعيض عن الاسماء الحقيقية بأسماء وهمية .....في النا اصحاب كتير مهزومين اتنين اتعرفوا ع بعض.. وحبوا بعض كتير.. اسماؤهم سالي واحمد.. وهلء مفكرين يخطبوا بنئولن مبروك.. بس هن لساتن ما خطبوا.....

... بعد ان انهى هذه الجملة (فرط الزلة من الضحك..... ما الذي اضحكه لا اعرف وغير الموضوع لشيء آخر وتحدث عن (كازم الساهر) وقال: .....انا حكيت مع حسين دعيبس وألي بدن يعملوا (ئريه) الاصل (قرية) ويصوروا اغنية عن الحرب.. رح اتكون كتير مهزومه).. وددت لو معي هاتف واتحدث مع هذا المذيع واقول له الوطن الذي تحدثت عنه اسمه (العراق) وليس (العراء) لا يوجد في قواميس اللغة شيء اسمه (العراء).. من الممكن ان (تطعج) او تغنج.. في كل الاسماء الا اسماء الاوطان.. ذلك ان الوطن مقدس في اللفظ والثرى والعراق.. هو الذي علمنا ابجديات الحب والوجع.. والقصيدة.. هو الذي انطق البندقية والكفاح والصبر.. فكيف يحرف اسمه، وبدر شاكر السياب بكل جبروته لم يستطع ان يلغي السكون الموجود على القاف في كلمة (العراق).

... المشكلة اني كنت مع (فايز الشوابكة) في سيارته ونحن نستمع لهذا المذيع كنا على مرمى حجر من (الخشافية) ونظرنا لبعضنا وضحكنا.. وسألنا أليس الاعلام هدفه التوعية؟ اليس بالضرورة ان يكون الخطاب الاعلامي جامعاً بحيث تفترض انك لا تخاطب طبقة واحدة وانما تخاطب الفقراء والاغنياء وبالتالي تقول على (كازم) (كاظم) وعن (العراء) (العراق).

... الاخطر من كل ذلك، ان اسم البرنامج (وانت مروح).. وانا كنت مروح من مأدبا وذاهب الى الخشافية.. وكنا نتحدث وانا (وفايز الشوابكه) عن قصيدة .....نبطية..... كتبها الشاعر (السديري) وانتشرت في ارجاء الجنوب ووصلت حد مأدبا.. وفي لجة الحديث كان الاخ يمطرنا (بمهزوم، والعراء، ونبئلك حكيك نايس كتير..) والاخطر انه كان يطمئن على (هايدي) ويقول لها.. .....ناطرينك ليه ما عم تحكي..... تخيلوا (فايز الشوابكة) يقول لاحد ابناء عمومته: .....كنت ناطرك فوء).

... لكل شعب لهجته الخاصة ونحن نحترم تلك اللهجات، وللعلم انا احب اللهجة اللبنانية، ولكن حتى في محطاتهن لا يقولون عن (العراق).. (العراء).

... كل الحق.. يقع على هيئة المرئي والمسموع فهي تعطي تصاريح لتلك الاذاعات ولكنها لا تحدد شروط العاملين.. انا اقترح ان يضيفوا شرطا اسمه .....منع الغنج على الاثير الوطني..... على الاقل حتى لا نخجل من بعضنا ونحن نستمع للصوت التي يلوث به اسم (العراق).. ويصبح (العراء).

... كان بودي ان اعرف شيئا واحدا لماذا (فرط الزله من الضحك..... حين تحدث عن اصدقائه الذين (حبوا بعض كتير كتير) فايز الشوابكة فسر الامر على الشكل التالي: .....ممكن حدا نئزوا من ايدوا..... ركزوا فيما قاله فايز (نئزو من إيدوا).

الراي الاردنية

التعـــصـــب يُـــدمِّـــر مـــرّتـــين!

السفير

طلال سلمان

من المصادفات القدرية أن يجيء الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين للمذابح التي نظمها وأشرف عليها الجيش الإسرائيلي بقيادة أرييل شارون في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين، متوافقاً مع انعقاد مؤتمر دولي في بيروت للبحث بإعادة بناء مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين، بعدما شردتهم المواجهة بالسلاح مع الإرهاب المصفح بالشعار الديني..

والحقيقة أن هناك كثيراً من وجوه الشبه أقله في النتائج، بين ما جرى في المخيمات الثلاثة، كما ان الضحايا كانوا في الحالتين فلسطينيين ولبنانيين، برغم اختلاف ؟العدو؟..

في صبرا وشاتيلا أخذ الغلط السياسي القائم على التعصب والانغلاق بالشعار الطائفي والذي كان لا بد ان ينتهي إلى ؟عنصرية؟ دموية، بعض التنظيمات . الميليشيات اللبنانية إلى تنفيذ غرض ؟العدو؟ الإسرائيلي ضد من هم في منزلة ؟الأهل؟ من اللاجئين الفلسطينيين البؤساء والمكسورين بعد هزيمة قيادتهم السياسية ومشروعهم أمام الاجتياح الإسرائيلي في العام ١٩٨٢.

وفي مخيم نهر البارد تمكن الغلط السياسي الذي أنبت تنظيماً إرهابياً يرفع الشعار الديني ان يقاتل لأهداف خاطئة في المكان الخطأ والزمان الخطأ، وضد ؟بعض أهله؟ في عملية انتحارية كان لا بد ان تنتهي بمأساة مزدوجة ضحاياها من الجيش اللبناني ومن أهالي جوار المخيم، فضلاً عن تشريد الثلاثين ألفاً أو يزيد من أهالي المخيم الذي كان نموذجاً في التعايش بين المضيف اللبناني و؟ضيوفه؟ من اللاجئين الفلسطينيين..

وإنها لمفارقة مفجعة ان يتنقل هؤلاء المناضلون، الذين يجيئون إلينا في مثل هذه الأيام من كل سنة وكان يتقدمهم الراحل ستيفانو كاريني لإحياء ذكرى ضحايا صبرا وشاتيلا، بين مخيمات البؤس الفلسطيني، وقد دمر بعضها الاحتلال الإسرائيلي بواسطة عصبوية طائفية ؟مسيحية؟ أعمتها الشوفينية في جوار بيروت، في حين دمر بعضها الآخر تطرف ؟إسلامي؟ أعماه التعصب والجهل عن التمييز بين ؟العدو؟ الحقيقي والصديق الحقيقي، فإذا به يقود عملية انتحارية دفع ثمنها غالياً اللبنانيون وجيشهم وكذلك الفلسطينيون في رزقهم وأسباب حياتهم، على بؤسها..

التطرف الديني قاتل هنا وهناك، وهو أعمى . في السياسة . هنا وهناك، وينتهي به الأمر في خدمة ؟العدو؟ الذي يزعم انه إنما حمل السلاح لقتاله..

والتطرف الديني يضيّع الاوطان (فضلاً عن الدين ذاته) ولا يحفظها.. فلا هو الطريق إلى التحرير، ولا هو خاصة الطريق إلى الهداية وإعلاء شأن الإيمان والمؤمنين.

وها هي النتائج تشهد على الكارثة، لبنانياً وفلسطينياً، في المخيمات الثلاثة، مع اختلاف الظروف و؟الأبطال؟ والشعار الذي يتسلحون به وهم يتوغلون في دماء ؟أهلهم؟ متوهمين أنهم إنما يحققون تقدماً في اتجاه ؟المجتمع المطهر؟ من رجس الكفار،..

وفي الحالتين فإن ؟أعداء الوطن والأمة والدين؟ كانوا المستفيدين في حين ان الوطن والأمة والدين كانوا بين الخاسرين!

السفير اللبنانية

وجه القـــاعـــدة

الأحداث المغربية

ساطع راجي

اكدت القاعدة مرة اخرى طبيعتها الظلامية والروح الجاهلية التي تسيطر عليها عندما اقدمت على خطف النساء والاطفال في احدى قرى محافظة ديالى، لتكشف عن حالة الضعف والهزيمة التي وصلت اليها حيث ارتكست الى اهداف هشة وضعيفة تعوض بها عما تلاقيه من انكسار . هذه حقيقة القاعدة والفكر الذي تنطلق منه وقد تجلت هذه الحقيقة في أكثر من مكان في العالم، إلا ان أقبح وجه للقاعدة هو ذلك الذي ظهر في العراق، حيث لم يسلم ركن من أركان البلاد ولا مدينة من مدنه الا وناله شر القاعدة، ولا بد من الاعتراف بان هذا التنظيم الارهابي حقق في العراق ما عجز عن تحقيقه في بلدان اخرى، بلدان تكون فيها فكر القاعدة التكفيري المتطرف وامتدت مجتمعاتها هذا التنظيم بالمال والافراد، ومع ذلك لم يتمدد هذا التنظيم ولم يقو على الظهور بالطريقة التي حدثت في العراق، والسبب الرئيس لهذا الوضع هو الجشع السياسي الذي سيطر على العقول الطائفية والعنصرية، تلك العقول التي تعامت عن حقيقة القاعدة وسدت آذانها لئلا تسمع تحذير المحذرين وتنبيه المخلصين لوطنهم وشعبهم، وأنجرت عقول الجشع السياسي وراء نهم السلطة فقدمت المأوى والمعونة لتنظيم القاعدة، وسمحت لأفراده الأجانب بالمكوث في القرى والمدن العراقية لينطلقوا منها مستهدفين قرى ومدن عراقية أخرى، وهم بذلك اباحوا للقاعدة كل العراق، ومازالوا يصرون على تمسكهم بالعلاقة الآثمة التي تربطهم بهذا التنظيم الاجرامي دون ان يجرؤوا على مواجهة انفسهم عن سبب تجريم القاعدة فكرا وتنظيما واشخاصا في البلدان التي يتخذون منها مقرا، او يترددون عليها لكسب الدعم بحجة دعم (المقاومة) لإخراج (المحتل) من العراق فإذا بهم لا يخرجون من العراق الا العراقيين!!!.

لقد انضوت عشائر عراقية وجماعات مسلحة الى جهود مواجهة القاعدة بعد أن كانت تقاتل الأجهزة الامنية والعسكرية وتعيق بناء الدولة وجهود اعادة الاعمار وحان الوقت ليعترف بعض الساسة بخطأ تحالفهم مع القاعدة ويعتذروا للشعب العراقي الذي الحقوا به اشد الاذى وهم يسوقون إليه الانتحاريين من مختلف بقاع الارض، وعليهم ان يعتبروا مما جرى في قرى محافظة ديالى من خطف للنساء والاطفال، فهم قد تركوا اهلهم وعشائرهم نهبا لأنياب القاعدة التي زرعوها في مناطقهم بسبب الجشع السياسي وعرضوا البنى التحتية لمدنهم للدمار بينما هم يرتعون في عواصم دول الجوار يغامرون بالدم العراقي في لعبة بلا حدود او ثوابت. لقد وصلت القاعدة الى هذا المستوى من الاجرام في اماكن اخرى، وفي جميعها كان هذا المستوى هو بداية لنهاية او انحسار القاعدة او من يماثلها في الفكر والسلوك. واذا كنا نتمنى نفس الحالة في العراق الا ان التخوف من المراهنات السياسية والالعاب الدموية ، يعطل هذه الأمنيات، خاصة مع الازمة السياسية الراهنة التي سيعمل اكثر من طرف على استغلالها ليثبت قدرته على التأثير في الوضع الامني وليتوج نفسه سيدا للموقف، خاصة بعد أن ابتكر بعض الساسة معادلة (النصر قاتلا او مقتولا)، فإذا كان القتلة من فئة هذا السياسي ادعى بأنه هو وحده القادر على كبح جماحهم اذا ما منح مزيدا من السلطة، وإن كان الضحايا هم الذين من فئته، اخذ بعرقلة العملية السياسية التي تعاني من الضعف أصلا، وصار يشكو من اقصائه وتهميشه بغض النظر عن الحقيقة، وهذا الأسلوب هو الذي فتح العراق امام الاجندات الخارجية ودول الجوار والتنظيمات الارهابية لتعبث مجتمعة بحياة العراقيين. ان وجه القاعدة المقزز سيبقى موجودا ومهددا بإطلالات بشعة ما لم يتحل بعض السياسيين العراقيين بالشجاعة ليعترفوا بخطأ تعاونهم معه، ويضعوا حدا لذلك التعاون والواجب الوطني والاخلاقي يحتم عليهم ان يقفوا بوجه القاعدة مهما كانت خلافاتهم كبيرة مع بقية النخبة السياسية.

الاحداث المغربية